الرعبَ، يُخْرِبون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [1].

وفي الآية لطائف وإشارات ودلالات عديدة، لن نعرض لها بالتفصيل ـ لأننا لا نتوسع في هذا البحث في تفسير القرآن خشية الخروج عن الموضوع ـ وإنما نشير إلى أبرزها:

١ ـ إن يهود ما كانوا يعتمدون على قوتهم الذاتية، ولا يركنون إلى طبيعتهم الجهادية، فهم فقراء في الناحيتين، وإنما اعتمادهم على حصونهم المنيعة وركونهم إلى ما فيها من حجارة وتراب، وهكذا يفعل الجبناء، فهم عندما يفقدون القوة الذاتية يحاولون تعويضها بالمظاهر الماديّة من حولهم، ولهذا وصف القرآن جبنهم بقوله: ﴿ وظنُّوا أنهم مانِعَتُهم حصونهم من الله ﴾. وظَنُّ يهود هذا ليس على ظاهره ـ الحدس والشك والتوقع ـ وإنما هو بمعنى اليقين الجازم القاطع، ومما يدل على هذا معمول «ظن» الذين هو الجملة الاسمية، حيث أكدت بمختلف المؤكدات التي تدل على الاعتقاد الجازم اليقيني الثابت، والمؤكدات هي: أنّ التوكيدية، وضمير الفصل «هم»، واسم الفاعل «مانعتهم» الذي يفيد الثبات والاستقرار، وتقديمه على الحصون ـ والأصل أن يؤخر عنها «حصونهم مانعتهم» ـ ورفعه للحصون وكونها معمولاً له، لأن «حصونهم» في الآية فاعل لاسم الفاعل «مانعتهم».

٢ ـ إن اللّه حارب يهود المحاصرين بوسيلة عجيبة، أبقى لهم حصونهم كما هي، وأتاهم من حيث لم يحتسبوا ولم يظنوا ولم يتوقعوا، أتاهم من قلوبهم وقذف فيها الرعب!! إن الله يعلم أهمية الإرادة والإيمان والثبات عند المقاتلين، وإن مناعة القلوب في المعركة أولى وأهم من مناعة الحصون ومتانة الأسلحة، ويعلم أن يهود جبناء لا تصمد قلوبهم على المواجهة، فقذف فيها الرعب.

---

(١) الحشر: ٢.